ورقة بحثية |

فريق متخصص بشؤون الأمن والجماعات المسلحة

تاريخ القرصنة في البحر الأحمر وخليج عدن (1800-2024): الدوافع والتبعات

SOUTH 24

تاريخ القرصنة في البحر الأحمر وخليج عدن (1800-2024):

الدوافع والتبعات

فريق متخصص بشؤون الأمن والجماعات المسلحة

الصورة في الغلاف: صورة معدّلة بواسطة الذكاء الاصطناعي للسفينة البريطانية "روبيمار" الغارقة في البحر الأحمر (بواسطة مركز سوث24، الصورة الأصلية: أ ف ب)

مركز سوث24 للأخبار والدراسات

المحتويات

المقدمة **4**

أهمية البحر الأحمر 6

هجمات البحر الأحمر في القرن الحادي والعشرين **9**

الهجمات الحوثية 9

هجمات إيرانية إسرائيلية 14

هجمات القراصنة الصوماليين 18

عملية تنظيم القاعدة 24

هجمات القرن العشرين **27**

الحربان العالميتان: الأولى والثانية 28

قناة السويس 29

حربا 1967 و 1973 30

حضور إسرائيلي 30

حرب الناقلات 31

عمليات مختلفة 32

هجمات القرنين التاسع والثامن عشر **34**

سفينة "دوريا دولت" 34

هجمات القواسم في الخليج 35

أقدم ذكر للقراصنة 37

النتائج والتوصيات **40**

ملخّص الورقة:

تتعمق هذه الورقة البحثية لمركز سوث24 في رصد وتحليل ظاهرة القرصنة في البحر الأحمر وخليج عدن، سواء كانت تقف وراءها جماعات من غير الدول كجماعة الحوثيين في اليمن والقراصنة الصوماليين وتنظيم القاعدة أو حتى القراصنة الأوروبيين في أوقات سابقة، أو دول وطنية كجمهورية إيران – مؤخرا -. بالإضافة إلى ذلك تستعرض الورقة دوافع هذه الأعمال وتطورها خلال القرون الثلاثة الماضية. كما سيتم تسليط الضوء على التأثيرات السلبية للقرصنة والهجمات، ضد السفن، على التجارة الدولية والاقتصاد المحلي والإقليمي والدولي وفرص الاستثمار والاستقرار والأمن في المنطقة. خلصت الورقة إلى جملة من النتائج والتوصيات التي من الممكن أن تساعد في فهم السياقات المختلفة لهذه الأحداث وتقدّم بعض المقترحات التي يعتقد المركز أنها قد تساهم في الحد من التحديات التي تواجه هذه المنطقة البحرية الهامة من العالم، وتنعكس بصورة إيجابية على اليمن ودول الإقليم.

مقدّمة

شكّلت القرصنة ظاهرة تاريخية راسخة في البحر الأحمر وخليج عدن، حيث ازدهرت بشكل خاص خلال القرون الثلاثة الماضية. وقد تميّزت هذه الفترة بتنوع دوافع القرصنة، من الصراعات السياسية إلى الأزمات الاقتصادية، مما أدى إلى تزايد الهجمات على السفن التجارية وتهديد الأمن البحري في المنطقة.

ولا شك أن رصد عمليات القرصنة في البحر الأحمر وخليج عدن خلال القرون الثلاثة الماضية يعتبر موضوعًا ذا أهمية تاريخية واقتصادية وسياسية، وتتعاظم أهميته اليوم مع التحديات التي شكّلتها هجمات مليشيا الحوثيين اليمنية في البحرين الأحمر والعربي، وانخراط دول كبرى في صراع يتصاعد في هذه المنطقة البحرية الاستراتيجية من العالم.

أما من الناحية التاريخية، فسوف تقدّم الورقة فهمًا أعمق للظاهرة ودوافعها وتطورها خلال القرون الثلاثة الماضية. كما سيتم تسليط الضوء على التأثيرات السلبية للقرصنة والهجمات ضد السفن على التجارة الدولية والاقتصاد المحلي والإقليمي والدولي وفرص الاستثمار والاستقرار في المنطقة.

أهداف الورقة

تهدف هذه الورقة البحثية، إلى رصد وتوثيق عمليات القرصنة والهجمات في البحر الأحمر وخليج عدن خلال القرون الثلاثة الماضية. كما تسعى إلى تحليل دوافع هذه العمليات وتطورها عبر الزمن. بالإضافة إلى تحليل أبرز أحداث العنف والمواجهة التي شهدتها المنطقة البحرية سواء كانت تقف خلفها جماعات من غير الدول أو دول وطنية بمختلف سياقاتها التاريخية والسياسية ودوافعها العسكرية والدينية.

كما تهدف هذه الورقة إلى خلق فهم أعمق للظاهرة ودوافعها وتطورها التاريخي ووضع مقارنة بين الأحداث التي شهدها البحرين الأحمر والعربي. إضافة إلى تقييم شامل للتأثيرات السلبية للقرصنة على الأمن والاستقرار الملاحي والإقليمي.

إلى جانب أنّ الورقة ستُساهم في فهم ظاهرة القرصنة في البحر الأحمر وخليج عدن بشكل أفضل، مما قد يساعد في إيجاد حلول فعالة لمكافحة هذه الظاهرة وضمان الأمن البحري وربما الحيلولة دون تحوّل الأمر إلى صراع نفوذ عالمي لا يمكن السيطرة عليه.

خريطة توضيحية لمنطقة البحر الأحمر وخليج عدن بواسطة mapbox

أهمية البحر الأحمر كممر مائي عالمي

يُعدّ البحر الأحمر أحد أهم الممرات المائية على مستوى العالم، فهو حلقة وصل بين قارات آسيا وأفريقيا وأوروبا، ويربط بين المحيط الهندي وبحر العرب شمالاً، والبحر الأبيض المتوسط جنوباً، من خلال قناة السويس ومضيق باب المندب.[1]

وتكمن أهميته الاستراتيجية في كونه:

1. طريق تجاري رئيسي: حيث يمر عبره ما يقارب 12% من التجارة البحرية العالمية، و 40% من التبادل التجاري بين آسيا وأوروبا. كما يُشكل شريان حياة للاقتصادات العالمية، حيث تُنقل عبره كميات هائلة من البضائع والمنتجات النفطية. ويُعدّ بوابة مهمة لدول

[1] Bab_alMandab_Strait_Ar.pdf (south24.net)

الخليج العربي، إذ يربطها ببقية دول العالم. كما أنه أحد الطرق الرئيسية الاستراتيجية التي تعتمد عليه الصين في مشروعها الواعد "الحزام والطريق".

2. موقع جيوسياسي هام: يقع في قلب العالم، مما يجعله محط أنظار القوى الدولية الكبرى. تُطل عليه دول ذات ثقل سياسي واقتصادي كبير، مثل المملكة العربية السعودية وجمهورية مصر. ولهذا السبب يُعدّ مسرحًا للصراعات الإقليمية والدولية.

3. ثروات طبيعية هائلة: يُعدّ البحر الأحمر غنيًا بالثروات الطبيعية، مثل النفط والغاز الطبيعي والمعادن[2]. ويُشكّل مصدراً هاماً للدخل لدول المنطقة، يُساهم في تنمية الاقتصادات المحلية وجذب الاستثمارات الأجنبية، كما أنه يشكّل أحد المصادر الغذائية لقطاع واسع من السكان المحليين، بما في ذلك الصيادين، خصوصا، في اليمن.

4. تنوّع حيوي فريد: يتمتع البحر الأحمر بتنوع حيوي فريد من نوعه، حيث يضم أكثر من 1200 نوع من الأسماك. ويُعدّ وجهة سياحية مميزة لمحبي السباحة والغوص والرياضات المائية. إلى جانب أنه يُساهم في الحفاظ على التوازن البيئي للمنطقة.

منذ وقت مبكّر يُعاني الطريق البحري خليج عدن – البحر الأحمر – قناة السويس من تحديات أمنية عدة، مثل القرصنة والإرهاب والهجمات المرتبطة بالدوافع السياسية أيضا، تضاعفت بشكل غير مسبوق منذ نوفمبر 2023. وتتطلب هذه التحديات تعاونًا دوليًا استراتيجيا لضمان أمن

[2] مشروع غاز البحر الأحمر - المعرفة(marefa.org)

الملاحة البحرية واستقرار الاقتصاد العالمي. وتُعدّ الدول المشاطئة مسؤولة بدرجة رئيسية عن تأمين سلامة الممر المائي، لكنّ مؤخرا تضاعف الوجود والصراع الدولي فيه، نتيجة الاعتداءات على السفن البحرية، وهو ما يضاعف بالمحصلة من حجم هذه التحديات الجيوسياسية، وأهمية انخراط دول المنطقة بصورة إيجابية فاعلة في صياغة مستقبل الممرات البحرية المحيطة بها.

السفينة البريطانية "روبيمار" خلال غرقها قبالة ساحل مدينة المخا في البحر الأحمر، عقب استهدافها من قبل الحوثيين في 18 فبراير 2024 (مصدر الصورة: أ ف ب)

هجمات البحر الأحمر في القرن الحادي والعشرين

الهجمات الحوثية

على رغم أنّ البحر الأحمر شهد العديد من الحوادث طوال القرون الماضية، إلا أن ما شهده هذا الممر المائي الهام خلال العام 2023 ومطلع 2024 يبدو مختلفا بشكل كبير. أواخر العام 2023، بدأت جماعة الحوثي المدعومة من إيران عمليات هجومية، قالت أنها ضد السفن المرتبطة بإسرائيل في البحر الأحمر، بمبرر الانتصار لقطاع غزة الفلسطيني. ومع أن الولايات المتحدة الأمريكية تجاوبت سريعا مع هذا التهديد من خلال إطلاق تحالف بحري وشنّ هجمات عسكرية مضادة، إلا أنّ الإجراءات التي اتخذتها لم تحل دون استمرار هجمات الجماعة. الرد الأمريكي جاء شبه منفرد بعد أن رفضت عدة دول المشاركة في التحالف البحري (حارس

الازدهار) الذي دعت إليه.[3] بسبب هذا الرفض، بدت توترات البحر الأحمر الأخيرة كما لو أنها مشكلة تخص الولايات المتحدة وبريطانيا وإسرائيل، رغم تأثير الهجمات الاقتصادي على مختلف بلدان العالم. ويبدو أنّ الموقف الأمريكي من حرب إسرائيل على قطاع غزة الفلسطيني قد أثر على الموقف الدولي من أحداث البحر الأحمر، إضافة إلى حسابات أخرى لدى بعض الدول، خصوصا دول الإقليم العربية.[4]

في المجمل، بدت الولايات المتحدة كما لو أنّها تتعامل مع تهديد فريد من نوعه. ويشير إلى ذلك تدرجها في الرد على جماعة الحوثي؛ بدأ بتشكيل تحالفٍ بحري[5] في 19 ديسمبر 2023، إلى إطلاق[6] عمليات جوية ضد الجماعة الشيعية في اليمن بهدف إضعاف قدراتها العسكرية، إلى تصنيفها كمنظمة إرهابية بشكل خاص[7]. مع ذلك، واصلت الجماعة عملياتها في البحر الأحمر، بل إنها وسّعت دائرتها لتصل إلى خليج عدن في البحر العربي. على الأرجح، لم تكن واشنطن تتوقع أن يشهد البحر الأحمر وخليج عدن عمليات من هذا النوع وبكل هذه الجرأة، لذا اتسمت ردة فعلها بالعشوائية، ويبدو أن نتائج عملياتها ضد الجماعة كانت مفاجئة. فوفق تصريح للقيادة المركزية الأمريكية، فالحوثيون هم الكيان الأول في تاريخ العالم الذي استخدم الصواريخ الباليستية المضادة للسفن على الإطلاق.[8] صحيح أنّ حضور إيران كداعم للجماعة عقّد من المهمة

[3] ترحيب حوثي برفض دول دخول التحالف البحري RT Arabic –

[4] أسباب العزوف العربي عن تحالف حماية الملاحة بالبحر الأحمر؟ 2023/12/23 – DW –

[5] الولايات المتحدة تعلن عن تشكيل تحالف دولي لمكافحة هجمات الحوثيين في البحر الأحمر(france24.com)

[6] مسؤول أمريكي لـ :CNN الولايات المتحدة تنفذ ضربات جديدة ضد الحوثيين CNN Arabic –

[7] واشنطن تعيد تصنيف الحوثيين منظمة إرهابية | سكاي نيوز عربية(skynewsarabia.com)

[8] الحوثيون في اليمن هم أول من استخدم الصواريخ الباليستية كمضاد للسفن في حالة حرب Udefense | . منتدى التحالف لعلوم الدفاع

العسكرية الأمريكية في البحرين الأحمر والعربي، لكن النتائج جاءت مخيبة للآمال بشكل كبير، على الأقل حتى وقت كتابة هذه الورقة.

وتُعتبر هجمات جماعة الحوثيين في البحر الأحمر هي الأبرز خلال هذا القرن، وربما على مر التاريخ، رغم تطوّر التكنلوجيا، الذي كان يفترض أن يحد من تهديد الملاحة في هذا الممر المائي الهام. لا شك أن تراجع القرصنة في البحر الأحمر وخليج عدن خلال القرنين العشرين والحادي والعشرين مرتبط بصورة أو بأخرى، من بين أمور أخرى، بالتطور التكنلوجي الذي شهده العالم، غير أنّ الهجمات الحوثية لم تتأثر بهذا التطور، على ما يبدو، إن لم تكن قد استفادت منه لتنفيذ هجماتها ضد السفن والناقلات والموانئ البحرية.

يمتلك الحوثيون مقدرات دولة، ويحظون بدعم إقليمي، وينفّذون هجماتهم في البحر الأحمر تحت غطاء أخلاقي يمس مشاعر ملايين العرب والمسلمين يتعلق بـ "قضية فلسطين". ربما يكون هذا هو الاختلاف الجوهري بين هجماتهم والهجمات التي نفذتها جهات أخرى "من غير الدول" في الممرات المائية الدولية، بغض النظر عن نوايا وأهداف الحوثيين الحقيقية من وراء هذه الهجمات. كما أن استمرار هجماتهم لا يرتبط بمدى قوتهم العسكرية، وإنما باستغلال قضية فلسطين، وهي أزمة مستمرة شهدت انقساما بين الدول الكبرى. ولهذا نجد أنّ الموقف الصيني[9] والروسي[10] وحتى الموقف السعودي[11] الداعي إلى خفض التوتر في البحر الأحمر، يربط هجمات الحوثيين على الملاحة بالوضع في غزة.

[9] الصين: إنهاء الصراع في غزة سريعا يخفف التوتر بالبحر الأحمر(aa.com.tr)

[10] مجلس الأمن يرفض تعديلات روسية على مشروع قرار يربط مطالبة الحوثيين وقف هجماتهم بمعالجة الوضع في غزةRT Arabic –

[11] وزير خارجية السعودية: الهجمات في البحر الأحمر مرتبطة بحرب غزة.. وهناك حاجة لوقف إطلاق النارSWI swissinfo.ch –

لكن الحوثيين يسعون من خلال ذلك، كهدف رئيسي، لإعادة رسم صورتهم بين السكان المحليين، الذي يتعرضون للقمع والفقر، خصوصا في مناطق سيطرة الجماعة شمال اليمن،[12]

لهذا قد تختلف ظاهريا هجمات الحوثيين قليلا عن عمليات القرصنة التي شهدها البحر الأحمر وخليج عدن في السابق، لكنها، في جوهرها، مرتبطة بصراع نفوذ، وتبدو مشابهة لنماذج سابقة ارتبطت بصراع دول، مع فارق أن الجهة المنفذة هنا قد تكون مجرد وكيل لجهات إقليمية.

على أنّ هجمات جماعة الحوثي في البحر الأحمر بدأت في وقت مبكر، ضد سفن مرتبطة بالتحالف العربي الذي قادته المملكة العربية السعودية في اليمن في مارس 2015، لكنها لم تكن بشكلها الحالي، نظرا لتواضع قوتها العسكرية حينها.[13] يبدو أنّ إعادة فتح الموانئ البحرية في المناطق الخاضعة لسيطرة الحوثيين بضغط دولي، قد سهّل من وصول أسلحة وخبراء إيرانيين إلى تلك المناطق. من الصعب الحديث هنا عن تطور عسكري ذاتي ساهم في هذه النقلة النوعية على مستوى العمليات البحرية للجماعة. فعلى رغم أنّ الموانئ في المناطق الخاضعة لسيطرة الحوثي ظلت مغلقة لسنوات، إلا أنّ الجماعة لم تتمكن من ممارسة الضغط لفتحها من خلال الهجمات في البحر الأحمر، سوى مرات قليلة وعلى فترات متباعدة، بخلاف الهجمات التي باتت تنفّذ بشكل يومي حاليا، وتستهدف ليس السفن التجارية وحسب بل والسفن الحربية.[14]

[12] لماذا يهاجم الحوثيون إسرائيل؟ د. مارتا فورلان (مركز سوث24)

[13] الحوثيون يحتجزون سفينة الشحن (روابي) التي ترفع علم الإمارات BBC News – عربي

[14] Bold Houthi Attacks Give Biden Stark Choices – WSJ

كانت أول عملية اختطاف قامت بها الجماعة ضد السفن في البحر الأحمر في 3 يناير 2022، عندما اختطف الحوثيون سفينة روابي الإماراتية واقتادوها وطاقمها الأجنبي إلى سواحل الحديدة. وأعلن التحالف الذي تقوده المملكة العربية السعودية في اليمن، عن "عملية قرصنة واختطاف بالسطو المسلح لسفينة الشحن (روابي) من قبل الميليشيا الحوثية الإرهابية مقابل الحديدة." [15] وقد أفرج الحوثيون عنها لاحقا بوساطة عمانية.[16]

يقول الحوثيون حاليا إنّ بمقدورهم ضرب أي سفينة في البحر من أي منطقة في اليابسة.[17] كثير من الصواريخ الباليستية التي استهدفت سفنا في البحر الأحمر وباب المندب، أُطلقت من معسكرات تتواجد في محافظات إب وذمار وتعز والبيضاء ومناطق أخرى.[18]

ولم تقتصر هجمات الحوثيين على استهداف السفن في البحر الأحمر، فقد سبق ذلك استهداف الموانئ في جنوب اليمن[19] حيث تتواجد الحكومة اليمنية المعترف بها دوليا، بهدف إيقاف تصدير النفط، وهو ما حدث بالفعل. قال زعيم الجماعة، عبد الملك الحوثي، متفاخرا بدقة ضرباتهم العسكرية ضد الموانئ اليمنية: "تمكنّا من ضرب بزبوز النفط".[20]

[15] قناة الإخبارية السعودية (تطبيق إكس)

[16] بعد احتجازها 3 أشهر.. الحوثيون يفرجون عن سفينة إماراتية بوساطة عمانية | الجزيرة نت

[17] الحوثيون: قادرون على إغراق السفن في 3 بحار | سكاي نيوز عربية(skynewsarabia.com)

[18] الحوثيون وهجمات البحر الأحمر.. إطلاق صواريخ من موقعين باليمن | سكاي نيوز عربية(skynewsarabia.com)

[19] جنوب اليمن: رابع هجوم حوثي على موانئ النفط (south24.net)

[20] نص كلمة زعيم الحوثيين - سبأنت - وكالة سبأ الحوثية (saba.ye)

ويمكن ملاحظة حجم التحدي الذي تشكله هجمات الحوثيين من خلال تصريحات المسئولين الأمريكيين الذين تحدثوا عن صعوبة مهمتهم في البحر الأحمر وخليج عدن.[21]

استهدفت جماعة الحوثي نحو 61 سفينة شحن تجارية وعسكرية في البحرين الأحمر والعربي من خلال 64 هجوما بالصواريخ البالستية والطائرات المسيرة وأسلحة أخرى، حتى 06 مارس 2024، وفق تأكيد زعيم الجماعة في كلمة متلفزة.[22]

الصورة: نقلا عن صحيفة تايمز أوف إسرائيل للسفينة الإسرائيلية في بحر العرب

هجمات إسرائيلية ـ إيرانية متبادلة

على رغم أن أمريكا وإسرائيل تتهمان إيران بتقديم الدعم للحوثيين في هجماتهم على سفن شحن في البحر الأحمر، إلا أن هذا الممر سبق وأن شهد هجمات متبادلة مباشرة بين إيران وإسرائيل.

[21] مسؤول أمريكي: لم نكن نتصور أن يحدث هذا لسفن أمريكية RT Arabic –

[22] زعيم الحوثيين: استهدفنا 61 سفينة في البحرين الأحمر والعربي(aa.com.tr)

في أبريل من العام 2021، تعرّضت السفينة الإيرانية "سافيز" لهجوم في البحر الأحمر قرب سواحل جيبوتي. ومع أنّ إسرائيل لم تُعلن مسئوليتها عن العملية، إلا أن صحيفة نيويورك تايمز نقلت عن مسؤول أمريكي لم تسمه قوله إن إسرائيل أبلغت الولايات المتحدة بأنها استهدفت السفينة.[23] قبل هذه العملية بأسبوع، كانت مجموعة انفجارات قد استهدفت السفينة الإسرائيلية لنقل السيارات "هايبريون راي" بالقرب من ميناء الفجيرة في دولة الإمارات العربية المتحدة.[24]

يعتبر الهجومان في البحر فصلا من فصول الصراع الإيراني ـ الإسرائيلي الممتد منذ زمن. وبسبب حربها مع بعض فصائل إيران، تتوجس إسرائيل من أي وجود لطهران في الممرات المائية، كونه يعني تهريب الدعم إلى تلك الفصائل، إضافة إلى مهماته الاستخباراتية.

السفينة الإيرانية "سافيز" المستهدفة قرب جيبوتي، يُشتبه بأنها كانت تستخدم كمركز بغرض جمع المعلومات الاستخباراتية، إضافة إلى كونها مستودعا عائما للأسلحة. وبعد مرور أشهر على الحادث، استبدلت[25] إيران السفينة "سافيز" بالسفينة الاستخبارية "بهشاد"، التي كانت تمركزت في البحر الأحمر خلال انطلاق عمليات الحوثيين البحرية ضد السفن التجارية والحربية في البحر الأحمر قبل أن تنتقل إلى خليج عدن[26] قبيل يوم واحد من بدء العمليات الجوية البريطانية الأمريكية ضد الحوثيين في اليمن. [27]

[23] إيران تؤكد تعرض إحدى سفنها لهجوم في البحر الأحمر BBC News – عربي

[24] إعلام عبري يتحدث عن استهداف سفينة شحن إسرائيلية بالقرب من سواحل الإماراتEuronews |

[25] إيران استبدلت سفينة "سافيز "بأخرى للتجسس.. صور فضحت سراً(alarabiya.net)

[26] مركز سوث24 (منصة إكس)

[27] إيران و«طوفان الأقصى».. لاعب رئيس أم مجرد مستفيد؟(south24.net)

ووفقا لمعهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى، فقد تمكنت إسرائيل من السيطرة على أربع من السفن الإيرانية بين العامين 2002 و 2014. وفي العام 2019، أكدت إيران تعرض ثلاث من ناقلاتها لهجمات قبالة الساحل السعودي على البحر الأحمر، إضافة إلى ست سفن أخرى في العام التالي.[28]

وينقل المعهد عن صحيفة "وول ستريت جورنال" الأمريكية بأنّ "إسرائيل استهدفت ما لا يقل عن اثنتي عشرة سفينة متجهة إلى سوريا، معظمها تحمل النفط الإيراني وبعضها تحمل أسلحة ومواد لبرنامج حزب الله للصواريخ الدقيقة". في حين قالت صحيفة نيويورك تايمز أنّ وحدة الكوماندوز "فلوتيلا-13" التابعة للبحرية الإسرائيلية، نفذت ما لا يقل عن عشر هجمات من هذا القبيل باستخدامها ألغام وأسلحة أخرى خلال 2020 أيضا، بصورة أساسية في البحر الأحمر وكذلك في شرق البحر الأبيض المتوسط.[29]

وفي أبريل 2021 قالت وسائل إعلامية، إن سفينة تجارية مملوكة لشركة إسرائيلية تعرضت للهجوم أثناء إبحارها في بحر عمان. ووجه مسؤولون إسرائيليون أصابع الاتهام إلى إيران.[30]

وفي يوليو 2021 تبنت طهران هجوما استهدف سفينة تديرها شركة إسرائيلية (شركة "زودياك ماريتايم" (Zodiac Maritime)) وأدى إلى مقتل اثنين من طاقمها.[31]

[28] حرب إيران وإسرائيل غير المعلنة في البحر (الجزء الثاني): احتمال التصعيد العسكري| The Washington Institute

[29] المصدر السابق

[30] هجوم على سفينة مملوكة لشركة إسرائيلية في بحر عمان | سكاي نيوز عربية(skynewsarabia.com)

[31] قصف سفينة "زودياك "ومقتل اثنين من طاقمها.. مصادر تؤكد تبني إيران الهجوم وإسرائيل تتوعد برد قاس | أخبار | الجزيرة نت(aljazeera.net)

وفي نوفمبر 2022 أظهرت بيانات ملاحية تعرض ناقلة النفط باسيفيك زيركون" (Pacific Zircon) – تابعة لشركة بحرية يملك المليارديرالإسرائيلي عيدان عوفر جزءا منها – لهجوم بطائرة مسيرة مفخخة قبالة سواحل عمان، في حين تبادلت إسرائيل وإيران الاتهامات بالمسؤولية عن الهجوم. وقالت وسائل إعلام قطرية أنّ الهجوم جاء بهدف التشويش على كأس العالم لكرة القدم 2022 في الدوحة.[32]

وفي فبراير 2023 قالت وكالة أنباء "تسنيم" التابعة للحرس الثوري الإيراني، أن سفينة تجارية إسرائيلية تعرضت لهجوم بطائرة إيرانية مسيرة من نوع "شاهد – 136"، في الخليج العربي.[33]

يمكن القول إنّ إيران قد مهدت من خلال جمع المعلومات الاستخبارية طيلة السنوات الماضية، لحرب الحوثيين على السفن بالبحر الأحمر في وقت مبكر، وأن ما يجري حاليا هو فصل من فصول معركتها البحرية مع إسرائيل، والتي تشير نتائجها الأولية إلى أنّ طهران تتفوق فيها حتى اللحظة.

وبالنسبة إلى الحرب التي شنتها إسرائيل على غزة عقب هجوم حماس في 7 أكتوبر 2023، فقد كانت الغطاء المناسب لهذه المرحلة من العمليات. إضافة إلى أن هذه الحرب أظهرت الحوثيين كما لو أنهم يتحركون بمعزل عن الأهداف الإيرانية.[34]

[32] تبادل للاتهامات بين طهران وتل أبيب بمهاجمة ناقلة النفط وإعلام عبري: الناقلة ليست إسرائيلية | أخبار | الجزيرة نت(aljazeera.net)

[33] تقرير: سفينة نفط اسرائيلية تتعرض لهجوم من قبل سفن ايرانية بطائرة مسيرة في خليج عمانI24NEWS –

[34] إيران و«طوفان الأقصى».. لاعب رئيس أم مجرد مستفيد؟(south24.net)

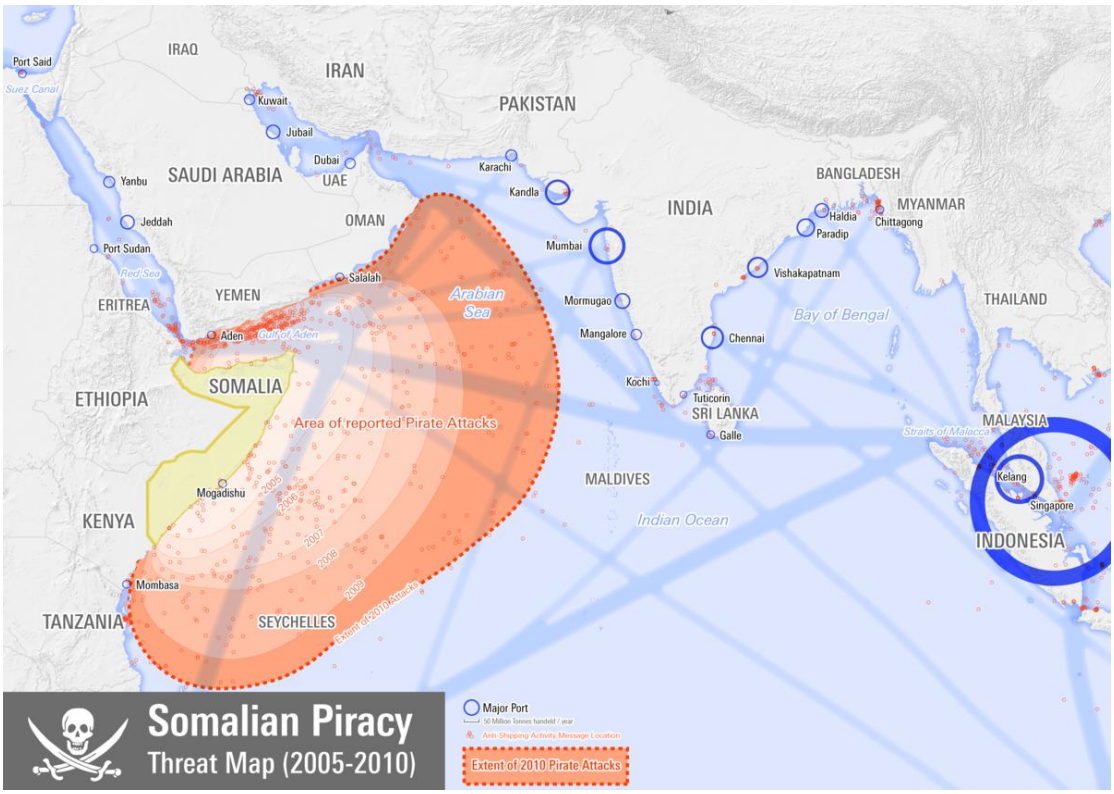

خارطة تظهر سيطرة القراصنة الصوماليين في الجزء الأكبر من خليج عدن وبحر العرب وشمال غربي المحيط الهندي (ويكيبيديا)

هجمات القراصنة الصوماليين

تختلف العمليات التي ارتبطت بالقراصنة الصوماليين في منطقتي خليج عدن والبحر الأحمر بشكل كبير، عن العمليات التي تنفذها جماعة الحوثي، من حيث الدوافع، والوسائل، والإمكانات، لكنها تشبهها في كونها قرصنة تهدد هذا الممر المائي وتؤثر بشكل كبير على الاقتصاد العالمي، عدا عن كونها من أسباب عسكرة البحر الأحمر.

ويمكن وصفها بأنها أعمال قرصنة وسطو مسلّح على السفن المدنية الدولية المارة قرب السواحل الصومالية واختطاف لأطقمها، تنفذها جماعات صومالية مسلحة للحصول على الأموال، مستغلة غياب السلطة

المركزيــة في الــبلاد ومهــددة الملاحــة العالميــة. وتزايــدت عمليــات القرصــنة تلك بين العامين 2005 و 2011.[35]

وفــق تقريــر للجزيــرة في 2012، فــإنّ "عــدد المنضــمين لنشــاطات القرصــنة في الصــومال قُــدر حينهــا بنحــو ثلاثــة آلاف شــاب ســنويا، تتــراوح أعمــارهم بــين 20-35 ســنة، وهــم موزعــون على أربــع مجموعــات ومعظمهــم مــن خفــر الســواحل الســابقين، ولهــم قــدرات فائقــة على اختطــاف الســفن حتــى مســافة 240-300 ميــل داخــل البحــار، وأحيانــا 1000 ميــل حســب المكتــب الــدولي للنقــل البحري".[36]

ويمكــن القــول إنّ الــدافع الــرئيس وراء أعمــال القرصــنة في الصــومال هــو دافــع مــالي بحــت، إذ "يمثــل هــؤلاء القراصــنة - حســب خبــراء اقتصــاديين صــوماليين - قــوة اقتصــادية نظــرا لــدخلهم الســنوي الــذي يقــدر بنحــو مائــة مليــون دولار أميركــي، وكــان لهــم تــأثير في اقتصــاد إقلــيم "بونتلانــد" الــذي لــم يكــن بمقــدور حكومته دفع رواتب موظفيها.[37]

وعلى رغــم أن عــدد الســفن التــي اختطفهــا القراصــنة الصــوماليون وصــل إلــى نحــو 149، إلا أنّ ذلــك تــم خــلال أعــوام. كانــت عمليــات اختطــاف الســفن على يــد قراصــنة صــوماليين قــد ظهــرت في مطلــع القــرن الماضــي، وتضــاعفت في العام 2007، وفق إحصاءات للبنك الدولي.

[35] حقائق-شريان باب المندب الملاحي الحيوي يصبح هدفا وسط تداعيات حرب إسرائيل وحماسSWI swissinfo.ch -

[36] القرصنة الصومالية | الموسوعة | الجزيرة نت(aljazeera.net)

[37] المصدر السابق

وفي 2008 قال وزير الخارجية الكيني إن القراصنة الصوماليين حصلوا على 150 مليون دولار جراء عملياتهم في عام 2007، وذلك ما شجّعهم على الاستمرار في القرصنة.[38]

عمليات القراصنة الصوماليين استدعت وجودا أجنبيا، حيث تم الاتفاق على وجود قوات أجنبية أمام السواحل الصومالية لمقاومة القرصنة بالبحر الأحمر، والتي جاءت بصفة قانونية وفق قرار مجلس الأمن الدولي رقم 1838، لعام 2008[39]. لقد جاء هذا التصويت بالإجماع على الرغم من تضارب مصالح الدول في هذه المنطقة الحيوية.

و نتيجة لأعمال القرصنة والسطو المسلح على السفن قبالة سواحل الصومال، طُلب من الدول المهتمة بالأنشطة البحرية أن تشارك في مكافحة القرصنة. كما طُلب منها القيام بنشر سفن حربية وطائرات عسكرية وفقاً للقانون الدولي.

وفي شهر ديسمبر كانون الأول 2008، دشّن الاتحاد الأوروبي "العملية أتلانتا" للتعامل مع هجمات القراصنة الصوماليين على سفن الشحن. وإلى جانب ذلك، نفذت عملية "درع المحيط" التابعة لحلف شمال الأطلسي وقوة عمل بحرية متعددة الجنسيات عمليات حماية كذلك لمكافحة القراصنة.[40]

وإضافة إلى ذلك، طُلب من السفن الحربية والطائرات العسكرية للدول التي تعمل في أعالي البحار قبالة سواحل الصومال، أن تستخدم جميع

[38] القرصنة الصومالية | الموسوعة | الجزيرة نت(aljazeera.net)

[39] Normal.dot (un.org)

[40] العملية "أتلانتا "في الميزان الاستراتيجي | الجزيرة نت(aljazeera.net)

الوسائل الممكنة بما يتماشى مع القانون الدولي، والتعاون مع الحكومة الاتحادية الانتقالية في الصومال، وفقاً لأحكام القرار الصادر عن مجلس الأمن الدولي الرقم 1814 لسنة 2008، والقرار الرقم 1816، في اتخاذ الإجراءات لحماية القوافل البحرية التابعة لبرنامج الأغذية العالمية.[41]

هل هناك فرق بين عمليات الحوثيين في البحر الأحمر وعمليات القراصنة الصوماليين؟

تختلف عمليات الحوثيين في البحر الأحمر عن عمليات القراصنة الصوماليين من حيث الدوافع والأهداف وأساليب الهجوم والتأثير وردود الفعل الدولية.

1. الدوافع:

الحوثيون: لديهم دوافع سياسية وعسكرية، تهدف إلى الضغط على الولايات المتحدة وإسرائيل، حسب تصريحاتهم، إضافة إلى الرغبة في جذب انتباه المجتمع الدولي.

القراصنة الصوماليون: لديهم دوافع مالية، تهدف إلى الحصول على فدية مالية من أصحاب السفن.

2. الأهداف:

[41] – Al Moqatelالقرصنة البحرية

الحوثيون: استهداف السفن التجارية التابعة لإسرائيل والمرتبطة بها، إضافة إلى سفن أمريكا وبريطانيا. مع الإشارة إلى أن الولايات المتحدة قالت في أكثر من مناسبة أن الحوثيين استهدفوا سفنا غير مرتبطة بإسرائيل، وهو الأمر الذي أكدته منظمات دولية مستقلة، مثل هيومن رايتس ووتش.

القراصنة الصوماليون: استهداف السفن التجارية دون تمييز، بغض النظر عن جنسيتها أو وجهتها.

3. أساليب الهجوم:

الحوثيون: استخدام الصواريخ الموجهة، والطائرات المسيرة، والقوارب المفخخة. وفي وقت لاحق أكدت القيادة المركزية الأمريكية أنهم استخدموا، ولأول مرة، غواصات مسيَّرة في الهجوم.

القراصنة الصوماليون: استخدام الأسلحة الرشاشة، والقنابل اليدوية، والخطافات.

4. التأثير:

الحوثيون: تُسبب هجماتهم أضرار بشرية ومادية جسيمة للسفن التجارية بما في ذلك اشتعال الحرائق. وفي أحدث هجوم لهم في 7 مارس 2024 في خليج عدن قتل وأصيب عدة بحارة من طاقم سفينة "ترو كونفيدانس".[42] وأدت إحدى هجماتهم في 18 فبراير 2024 إلى غرق سفينة "روبيمار" البريطانية مؤخرا قبالة السواحل

[42] 3قتلى في هجوم حوثي على سفينة في خليج عدن | اندبندنت عربية(independentarabia.com)

اليمنية، وسط تحذيرات لخبراء من كارثة بيئية تهدد السواحل اليمنية والأحياء البحرية.[43]

وفضلا عن تهديد أمن الملاحة البحرية في البحر الأحمر وخليج عدن، أدت هجمات الحوثيين إلى ارتفاع أسعار التأمين على السفن، وزيادة تكلفة التجارة العالمية، وتعثّر سلاسل التوريد لبعض المنتجات.

القراصنة الصوماليون: تسببت هجماتهم بزعزعة الاستقرار في المنطقة، وتهديد أمن الملاحة البحرية. إلى جانب أن هجماتهم أدت إلى اختطاف العديد من السفن واحتجاز طواقمها بغرض الحصول على فدى مالية.

5. ردود الفعل الدولية:

الحوثيون: أدانت العديد من الدول بما في ذلك مجلس الأمن الدولي هجمات الحوثيين، وفرضت دول مثل الولايات المتحدة وبريطانيا عقوبات على بعض قيادات المليشيا. كما تم تشكيل قوة بحرية دولية لتأمين الملاحة البحرية في البحر الأحمر، تمثلت بعملية "حارس الازدهار" التي تقودها واشنطن، وعملية "أسبيدس"[44] التي أطلقها الاتحاد الأوروبي في 19 فبراير 2024 . ولاحقا أطلقت الولايات المتحدة وبريطانيا عملية جوية عسكرية بهدف إضعاف قدرات الحوثيين العسكرية.

[43] التداعيات البيئية لغرق السفينة روبيمار في البحر الأحمر(south24.net)

[44] الاتحاد الأوروبي يطلق مهمة بحرية لحماية الملاحة في البحر الأحمرSWI swissinfo.ch -

القراصنة الصوماليون: تم تشكيل قوة بحرية دولية لمكافحة القرصنة قبالة سواحل الصومال. كما تم تقديم مساعدات دولية للصومال لتطوير اقتصاده ومكافحة الفقر، على اعتبار أن الفقر والوضع المعيشي بشكل عام كان من الأسباب الرئيسية للهجمات على السفن التجارية.

الصورة الأرشيفية بتاريخ 29 أكتوبر/تشرين الأول 2000، يمر قارب للشرطة اليمنية بجوار السفينة الأمريكية المنكوبة يو إس إس كول أثناء سحبها من ميناء عدن بواسطة زوارق قطر يمنية إلى المياه العميقة بعد هجوم انتحاري لتنظيم القاعدة في عدن: (صورة AP/حسن جمالي)

عملية القاعدة الوحيدة – استهداف كول

بالرغم من أنّ "تنظيم القاعدة في جزيرة العرب" لم يكن قد أُعلن عنه بصفته الرسمية، في أواخر تسعينات القرن الماضي، إلا أنّ بعض عناصره

تمكنوا من تنفيذ عملية هجومية بحرية كبيرة، باستهداف المدمرة الأمريكية "يو. إس. إس كول" بتاريخ 12 أكتوبر 2000 قرب ميناء عدن، في جنوب اليمن، مما أدى إلى مقتل 17 من أفراد طاقم السفينة وجرح 39. وقد أعلن أفراد التنظيم فيما بعد مسؤوليتهم عن الحادث.[45]

لا يُعرف أن تنظيم القاعدة اليمني نفّذ عمليات بحرية أخرى بعد هذه العملية، رغم إمكاناته الكبيرة بعد العام 2009، والتي ظهرت من خلال عملياته العابرة للحدود، في السعودية، والمملكة المتحدة، وفرنسا، والولايات المتحدة الأمريكية.

كما أنّ عملية استهداف المدمرة الأمريكية كول، لا تشبه العمليات التي تنفّذها جماعة الحوثي، ولا عمليات القراصنة الصوماليين، كونها تأتي في سياق العمليات التي تشنها القاعدة ضد المصالح الأمريكية في البحر أو البر.

بعد هذه العملية، تصاعد التعاون الأمني بين صنعاء وواشنطن، كما زاد التنسيق والتدريب على مكافحة الإرهاب، إذ وصل التعاون ذروته في 3 نوفمبر 2002، في العملية المشتركة لاغتيال أبو على الحارثي، قائد تنظيم القاعدة في اليمن.[46]

و في 27 يوليه 2009، صرّح قائد القيادة المركزية الأمريكية الجنرال ديفيد بيتريوس، الذي كان يزور اليمن للقاء الرئيس اليمنى علي عبد الله صالح، أن الجانبين ناقشا وبحثا التعاون العسكري، بما في ذلك التدريبات

[45] الهجوم على المدمرة الأمريكية يو إس إس كول (عدن، اليمن | 12 أكتوبر/تشرين الأول 2000) – مكافآت من أجل العدالة(rewardsforjustice.net)

[46] اليمن يعترف رسميا بالمشاركة في قتل الحارثي ورفاقه | أخبار | الجزيرة نت(aljazeera.net)

المشـــتركة وإجـــراءات مكافحـــة الإرهـــاب؛ فضـــلاً عـــن تنفيـــذ وتفعيـــل الأمـــن التعاوني في اليمن والمنطقة ككل.[47]

وعلى عكـس تـدخلها المباشـر ضـد عمليـات جماعـة الحـوثي، أعلنـت الولايـات المتحـــدة الأمريكيـــة عزمهـــا زيـــادة حجـــم مســـاعداتها التنمويـــة والأمنيـــة المخصصة لليمن، لتصل إلى أكثر من 150 مليون دولار.[48]

وحينهـا أكـد الجنـرال ديفيـد بتريـوس، أن الولايـات المتحـدة الأميركيـة لا تعتـزم إرسـال أيـة قـوات بريـة إلـى الجمهوريـة اليمنيـة للتـدخل المباشـر لمواجهـة تنظـيم القاعـدة. ومـع ذلـك لـم تبـدِ واشـنطن اسـتعدادا – على الأقـل حتـى اللحظـة – لـدعم الحكومـة اليمنيـة المعتـرف بهـا دوليـا والقـوات العسـكرية في جنوب اليمن لمواجهة تهديد الحوثيين.

[47] – Al Moqatelأمن البحر الأحمر

[48] المخابرات الامريكية: التزام اليمن بقتال القاعدة غير واضح | رويترز(reuters.com)

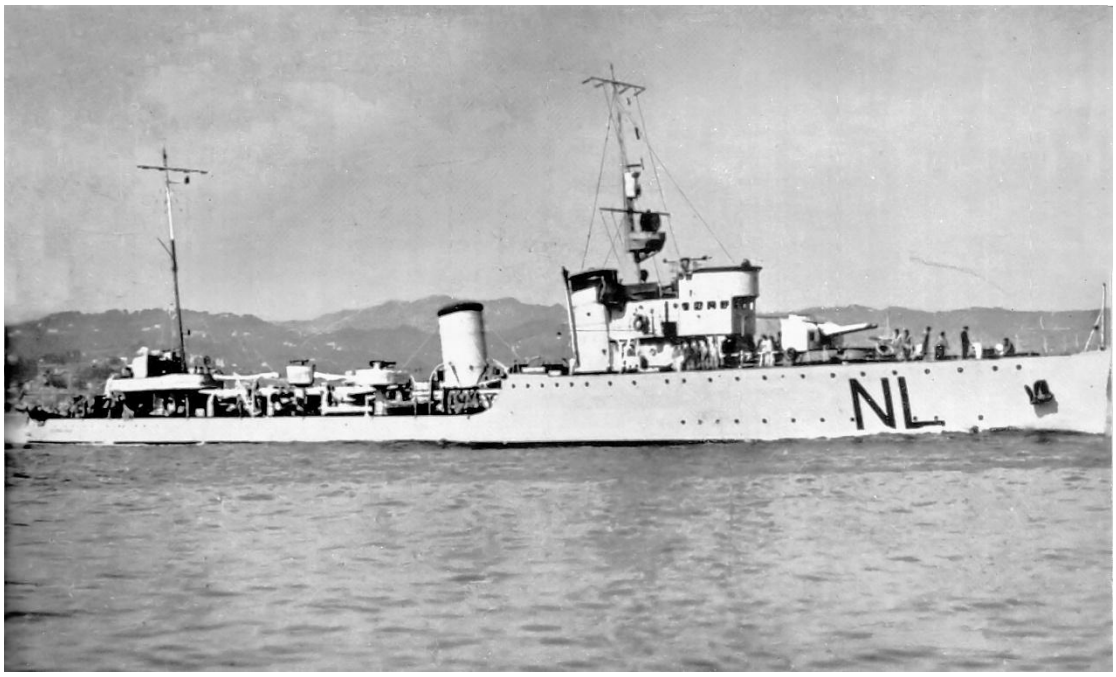

المدمرة الإيطالية فرانشيسكو نولو خدمت خلال الحرب العالمية الثانية، وشاركت في هجمات عسكرية في البحر الأحمر (الصورة بواسطة ويكبيديا)

هجمات البحر الأحمر في القرن العشرين

يمكن الحديث عن أحداث وصراعات دولية شهدها البحر الأحمر خلال القرن العشرين أكثر منها عمليات قرصنة، وإن كانت تنتهي إلى النتائج ذاتها على مستوى تهديد الملاحة الدولية. وبالطبع، مع عدد قليل من عمليات القرصنة.

وقد شهد البحر الأحمر خلال القرن العشرين العديد من الأحداث الهامة التي أثرت على مساره التاريخي، وسوف نستعرض هنا بعضًا من أهم هذه الأحداث.

الحربان العالميتان: الأولى والثانية

تمكنت بريطانيا من بسط نفوذها على البحر الأحمر خلال الحرب العالمية الأولى، مما أدى إلى إغلاق قناة السويس لفترة قصيرة. وقد ساعدت السيطرة البريطانية على البحر الأحمر في تأمين خطوط الإمداد إلى الهند ومستعمرات أخرى في الشرق الأوسط.

كان البحر الأحمر وخليج عدن مسرحا لمعارك ضارية بين الحلفاء ودول المحور، خاصة في معركة البحر الأحمر عام 1940. وقد ساعدت السيطرة على البحر الأحمر على تأمين خطوط الإمداد للحلفاء، وخاصة بعد دخول الولايات المتحدة الحرب عام 1941.

وبحسب المراجع التاريخية في ويكيبيديا، فإنّ أربع من الغواصات الإيطالية الثماني التي تمركزت في مدينة مصوّع الإرتيرية فُقدت. وفي 16 يونيو، أغرقت الغواصة الإيطالية جاليليو جاليلي الناقلة النرويجية جيمس ستوف، وأبحرت بشكل مستقل حوالي 12 ميلا بحريا (14 ميل؛ 22 كم) جنوب عدن. وفي 19 يونيو، أرسلت بريطانيا طائرتها البرمائية Supermarine Walrus لقصف محطة لاسلكية إيطالية في جزيرة سنتر بيك بين مصوع الإرتيرية والساحل العربي.[49]

كما تعرضت سفينة MV Bhima (5280 GRT) لأضرار في هجوم جوي إيطالي، وقتل رجل واحد؛ وتم سحب السفينة إلى عدن وإعادتها إلى الشاطئ لإصلاحها.[50]

---

[49] Attack on Convoy BN 7 – Wikipedia

[50] Rohwer, Jürgen; Hümmelchen, Gerhard (1992) [1972]. Chronology of the War at Sea, 1939–1945: The Naval History of World War Two (2nd rev. ed.). Annapolis, MD: Naval Institute Press. *ISBN 978-1-55750-105-9.*

في أكتوبر 1940 تعرضت قافلة أوروبية مشتركة BN 7 متجهة شمالاً عبر البحر الأحمر وتتكون من 32 سفينة تجارية بريطانية ونرويجية وفرنسية ويونانية وتركية، لهجوم إيطالي بحري وجوي. كانت القافلة BN 7 تقترب من بريم (جزيرة ميون) الواقعة في مدخل باب المندب في جنوب اليمن، عندما هاجمتها طائرة إيطالية بالقنابل.

وقد فشل الهجوم الإيطالي، وتعرضت سفينة تجارية واحدة فقط لأضرار طفيفة. وقامت المدمرة البريطانية "إتش إم إس كيمبرلي" بقصف المدمرة الإيطالية "فرانشيسكو نولو" التي كانت على الشاطئ في جزيرة هارميل الإرتيرية. كما تعرضت المدمرة البريطانية "كيمبرلي" لأضرار بواسطة بطاريات إيطالية في الجزيرة.[51]

أزمة قناة السويس

في عام 1956 قامت مصر بتأميم قناة السويس مما دفع المساهمين في بريطانيا وفرنسا، إلى جانب إسرائيل، إلى غزو القناة. ولم تنته "أزمة السويس" إلا بعد أن أغرقت مصر 40 سفينة في القناة وتدخلت الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي والأمم المتحدة، مما أجبر بريطانيا وفرنسا وإسرائيل على الانسحاب.[52]

لكنَّ العمليات المصرية لا تندرج ضمن عمليات القرصنة، كونها مرتبطة بواجبات وطنية تتعلق بالدفاع عن السيادة، كما أن المنفّذ دولة مستقلة وعضو في الأمم المتحدة.

[51] Attack on Convoy BN 7 – Wikipedia

[52] How Houthi attacks in the Red Sea impact shipping in the Suez Canal | Reuters

حربا 1967 و 1973

أدت حرب 1967 بين العرب وإسرائيل إلى إغلاق قناة السويس مرة أخرى، مما أثر بشكل كبير على التجارة العالمية. كما ساعد إغلاق قناة السويس على زيادة أهمية البحر الأحمر كمسار تجاري.[53]

وفي الحرب المصرية الإسرائيلية في 1973، قررت دولتا مصر وجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية (اليمن الجنوبي) إغلاق مضيق باب المندب، بهدف فرض حصار بحري على إسرائيل، التي تستورد حينها نحو 18 مليون طن من النفط الإيراني. ولم يُفتح المضيق إلا في 13 ديسمبر 1973 وفقا لوزير الدفاع الجنوبي حينها، علي ناصر محمد.[54]

حضور إسرائيلي

في يونيو/ حزيران 1971، أعلنت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين مسؤوليتها عن هجوم على ناقلة نفط تتجه إلى ميناء إيلات في جنوبي إسرائيل. وقع الهجوم بالقرب من مضيق باب المندب في البحر الأحمر.[55]

وفي ردها على هذا الهجوم، بدأت إسرائيل بالعمل على تقويض سيطرة اليمن على الممر الملاحي في جنوبي البحر الأحمر، واتبعت استراتيجية تقوم على دعم الدول غير العربية المجاورة.[56] كما سعت من خلال إرسال

[53] قناة السويس - ويكيبيديا(wikipedia.org)

[54] صحيفة الأيام(alayyam.info)

[55] Tanker Bound for Israel Attached Near Red Sea – The New York Times (nytimes.com)

[56] إسرائيل والأمن الملاحي في منطقة البحر الأحمر: عقود من التنافس و التحدي الحوثي الناشئ - تقرير اليمن، يناير/ كانون الثاني وفبراير/ شباط 2023م - مركز صنعاء للدراسات الإستراتيجية(sanaacenter.org)

مسؤوليها العسكريين إلى إثيوبيا - على سبيل المثال - إلى تأمين فرصة لإسرائيل للوصول إلى الجزر الواقعة على البحر الأحمر.[57]

وفي القرن العشرين، أخذت قضية الملاحة في البحر الأحمر، معاني مختلفة تناسب طبيعة اللّحظة الزمنية وتفاعلاتها، بحسب الخبراء المصريين. "فمع تحوّل طبيعة تفاعلات الدول العربية مع إسرائيل إلى البحث عن تسوية سياسية، تغير الأمر، وبناء عليه، لم يعُد مفهوم أمن البحر الأحمر يُطرح بمعنى عسكري، بل تمّ التركيز على الحفاظ على بيئة البحر وسيولة الحركة الملاحية فيه فقط."[58]

حرب الناقلات

تضررت حركة السفن في البحر الأحمر جراء الحرب العراقية الإيرانية بين العامين 1980–1988. حيث جرى ضرب ناقلات النفط في الخليج العربي بشكّل استراتيجي. وأطلق البعض تسمية "حرب الناقلات" على الحرب بين البلدين. وفقا لمراجع وكيبيديا، استهدفت القوة الجوّية العراقية معظم موانئ النفط في إيران، بهدف منعها من تصدير النفط، بعد أن خسر ميناء الفاو الذي يعد شريانه النفطي ومنفذه البحري الوحيد على الخليج. بينما تركّزت الهجمات البحرية والجوية الإيرانية على ناقلات النفط الخليجية، بدعوى أن دول الخليج العربي داعمة للعراق، وكانت معظم الخسائر من نصيب ناقلات النفط الكويتية، ما دفع الحكومة الكويتية، إلى أن تطلب حماية دولية لناقلاتها.

[57] المصدر السابق

[58] القرصنة الصومالية تُعيد الاعتبار لأمن البحر الأحمرSWI swissinfo.ch -

وقد شهدت "حرب الناقلات" إغراق قرابة 223 ناقلة نفطية من مختلف الجنسيات، إضافة إلى تضرر وغرق نحو 540 ناقلة تجارية ومقتل نحو 430 بحارا.[59]

يمكن القول أنّ الأحداث في البحر الأحمر وخليج عدن خلال القرن العشرين قادت إلى تغييرات كبيرة في المنطقة، خاصة من حيث التجارة والسياسة والأمن. إلى جانب ذلك، بات البحر الأحمر أكثر أهمية كمسار تجاري عالمي، مما أدى إلى زيادة التنافس بين الدول على السيطرة عليه. كما ساعدت الأحداث في البحر الأحمر على زيادة الوعي بأهمية الأمن البحري في المنطقة.

عمليات مختلفة

على رغم أن عمليات البحر الأحمر وخليج عدن كانت مستمرة منذ قرون، إلا أنها لم تحدث الضرر الذي أحدثته عمليات جماعة الحوثي على أكثر من مستوى. وبالإشارة إلى بعض نماذج العمليات التي شهدها هذا الممر المائي الهام خلال القرنين العشرين والحادي والعشرين، يمكن القول إنها محدودة الأثر، حيث كانت عبارة عن تسليح بسيط لدى القراصنة.

كما أنّ المواجهة مع القراصنة كانت سهلة وتمت العمليات عبر مشاركة 38 دولة في وقف هذه التهديدات والتنسيق فيما بينها، وإقامة قواعد بحرية قريبة مثل القواعد الأجنبية المنتشرة في جيبوتي. إلى جانب

[59] "حرب الناقلات "في الخليج... كيف بدأت وكيف انتهت؟ | مجلة المجلة(majalla.com)

ذلك، كانت سفن الشحن تتبع أساليب بدائية لحماية نفسها وكانت فعالة بدرجة كبيرة حتى لا تحدث خسائر في الأرواح أو خسائر مادية.

إضافة إلى ما سبق، كانت عملية التأمين للسفن من القرصنة البحرية سهلة أيضاً، إذ كانت سفن القوات القريبة تتولى حماية السفن التجارية بداية من خليج عُمان وحتى عبور باب المندب فقط. بالمقابل لم يظهر التحالف البحري "حارس الازهار" فعالية ملموسة وعملية في حماية السفن. ويأتي ذلك نظرا لاستهداف الحوثيين السفن بالطائرات المسيرة والصواريخ الباليستية لأول مرة في البحر الأحمر وخليج عدن.

في هذا السياق أيضا، يقول كريس لونج، مدير الاستخبارات في مجموعة نبتون بي 2 بي، وهي شركة للأمن البحري: "الشيء الذي أوقف القرصنة في السابق هو وجود حراس مسلحين على متن السفينة".[60] وبالتالي "القراصنة لم يكونوا يريدون أن يُقتلوا، كانوا يريدون فقط المال، وإذا تعرضوا لإطلاق النار، فسوف يرحلون".

ولذلك يرى لونج أنه "مع وجود هذه الحماية على متن السفينة، في حالة صعود مهاجمين مدججين بالسلاح مدعومين من الدولة أو ذوي دوافع سياسية، مثل الحوثيين، على متن سفينة، ربما لن يتمكن الفريق الأمني من التعامل معهم، لاعتبارات قانونية".

[60] تحليل غربي: كيف يمكن الحفاظ على سفن الشحن في مأمن من الهجوم في البحر الأحمر (ترجمة خاصة) - الموقع بوست(almawqeapost.net)

مراكز تجاريّة بريطانيّة وهولنديّة بمدينة المخا اليمنية – ويكيبيديا

هجمات البحر الأحمر وخليج عدن في القرنين التاسع والثامن عشر

السفينة "دوريا دولت" واحتلال عدن

خلال القرن التاسع عشر، كانت بريطانيا قوة إمبريالية عظمى مهتمة بتوسيع نفوذها في جميع أنحاء العالم، خصوصا الممرات البحرية. وبالنسبة إلى عدن كمدينة ساحلية تقع في شبه الجزيرة العربية على طريق تجاري هام بين أوروبا والشرق الأقصى، فقد كانت تعني الكثير للإنجليز. وكانت عدن حينها تخضع لحكم سلطان لحج وعدن محمد حسين فضيل.[61]

في 19 يناير 1839، استغلت بريطانيا حادثة جنوح سفينة تابعة لشركة الهند الشرقية البريطانية في العام 1837 تسمى " دوريا دولت "، على ساحل عدن، كذريعة لاحتلال المدينة لاحقا. ورغم إنقاذ طاقم السفينة،

[61] كيف اصطدمت «دوريا دولت» بتاريخ عدن؟(south24.net)

اتهمت بريطانيا سكان عدن بنهب السفينة، بحسب ما أوردته رسائل قبطانها (الناخوذة سيد نور الدين بن جمال).[62]

لقد تم استخدام هذه الحادثة كسبب لتأمين مصالح بريطانيا التجارية في المنطقة وتعزيز نفوذها في المحيط الهندي واحتلالها لما عُرف لاحقا الجنوبي العربي حتى العام 1967.

هجمات القواسم على السفن البريطانية

كانت منطقة البحر الأحمر وخليج عدن وخليج عمان حافلة بأعمال القرصنة والهجمات المتبادلة خلال القرن التاسع عشر. لكن خلفية تلك الهجمات تبدو مختلفة بشكل كبير عن التي شهدها هذا الممر المائي في القرنين التاليين. ويعتبر البريطانيون وقبيلة القواسم إضافة إلى الدولة السعودية الأولى، أبطال تلك الأحداث.

لأسباب عديدة، من بينها ازدياد نشاط القبائل العربية على الساحل العماني والساحل الشرقي من شبه الجزيرة العربية، في الهجمات البحرية، وازدياد نشاط قبائل القواسم وتهديداتهم للإنجليز ونفوذهم، تراجع نفوذ شركة الهند البريطانية، التي أنشئت بتفويض من الملكة إليزابيث الأولى عام 1600، لتصبح رأس الحربة الانجليزية في المنافسة الشرسة على تجارة الشرق في الهند والصين والمناطق الآسيوية الجنوبية.[63]

[62] المصدر السابق (مركز سوث24 للأخبار والدراسات)

[63] مواجهة فوق مياه الخليج.. هكذا سحق القواسم أسطورة بريطانيا العظمى لعقود | الجزيرة نت(aljazeera.net)

ومن أجل أن تعود شركة الهند الشرقية البريطانية للمنافسة، والسيطرة على التجارة، كان لا بد من إزاحة أو إضعاف المنافسين التجاريين المحليين، وفي مقدمتهم التجار العُمانيون، وسكان البحرين وقواسم رأس الخيمة والشارقة.

وبالفعل، استطاع البريطانيون الحد من خطورة تجار وسفن عمان والبحرين من خلال سياسة خطيرة لعبت على التهويل من خطر القواسم على الطرفين، وشرعوا في شن حملة دعائية ضد القواسم لإظهارهم بمظهر القراصنة. وأطلقوا على المناطق التي كان يسكن فيها القواسم في رأس الخيمة والشارقة وأم القيوين وعجمان والحمرية وجزيرة الحمراء "ساحل القراصنة".

وكان نفوذ القواسم في القرن الثامن عشر والربع الأول من القرن التاسع عشر ممتدا حتى المناطق الواقعة اليوم على الساحل الإيراني المُطل على الخليج العربي. وقد مثلت التجارة البحرية مصدرا وحيدا لرزق القواسم على أرض جدباء لا تصلح للزراعة.[64] ولهذا السبب كانوا ينظرون إلى الإنجليز على أنهم منافسون خطرون بمقدورهم حرمانهم من مصدر رزقهم، خصوصا بعد أن طلب البريطانيون أن تحمل جميع السفن التي تعمل في التجارة في الخليج العربي تصاريح إنجليزية.[65]

ولذلك اتسعت هجمات القواسم ضد السفن البريطانية في المحيط الهندي وبحر العرب، وتمكَّنوا من الاستيلاء على العديد من السفن البريطانية. وبحلول عام 1809 كان أسطول القواسم قد بلغ نحو 1400 سفينة صغيرة وكبيرة، فيما بلغ عدد الرجال العاملين على هذه السفن

[64] كتاب: أسطورة القرصنة في الخليج العربي

[65] مواجهة فوق مياه الخليج.. هكذا سحق القواسم أسطورة بريطانيا العظمى لعقود | الجزيرة نت(aljazeera.net)

8700 رجل استند إليهم زعيم القواسم في مطالبة حكومة بريطانيا في الهند بدفع مقابل مادي من أجل السماح للسفن البريطانية بالمرور في الخليج بحُرية. ولهذا السبب شنت بريطانيا، في نوفمبر/تشرين الثاني 1809، حملة عسكرية بحرية مسلحة على رأس الخيمة - تتبع دولة الإمارات حديثا - من خلال 13 سفينة حربية بهدف تدمير القوة البحرية للقواسم. نتج عنها توقيع معاهدة سلام، انهارت لاحقا، واستأنف القواسم هجماتهم على السفن.

وفي شهر نوفمبر/تشرين الثاني انطلقت حملة بريطانية عسكرية من بومباي في الهند بهدف تدمير أسطول القواسم، قادت إلى التوقيع على اتفاقية رأس الخيمة في 20 يناير/كانون الثاني 1820.

لاحقا، أصبحت هذه الاتفاقية هي الأساس الذي ارتكزت عليه الهيمنة السياسية والاقتصادية البريطانية على أقطار الخليج العربي، وأمَّنت من خلالها بريطانيا إمبراطوريتها في الهند.

أقدم ذكر للقراصنة

من خلال البحث الذي أجراه مركز سوث24، يمكن القول أن أقدم حادثة قرصنة مؤرخة، وقعت في باب المندب كانت في القرن السابع عشر، وانخرط بها مجموعة من القراصنة البريطانيين. حيث وصل في العام 1695، القبطان هنري ايفر (قرصان إنجليزي) على متن سفينته "فانسي" إلى مضيق باب المندب، فانضم إليه خمسة قراصنة آخرين، وهجموا، وفقا لمراجع ويكبيديا التاريخية، على أكبر سفن الأسطول الهنديّ المغوليّ

(جان آي سوا) الذي كان يقوم برحلته الاعتيادية إلى مدينة المخا (تتبع اليمن حاليا)، وبرفقتها السفينة فاتح محمد.[66]

ومن بين أحداث القرصنة التي ذكرها البريطانيون ما ورد في رسالة كتبها "ويليام بوبير" المؤرخة في 1767. يصف "بوبير" القرصان الفارسي مير مهنا قائلا: «في عصره كان مصدرا رئيسيا للقلق من قبل جميع أولئك الذين يبحرون على طول الخليج العربي، وكانت مآثره عاملا مبكرا قادت شركة الهند الشرقية لتصبح للمرة الأولى شريكة في سياسة المنطقة وذلك من أجل مصالحها التجارية البحتة».[67]

ويقول البريطانيون إن رحمة بن جابر الجلهمي كان من أعتى القراصنة الذين استغلوا الخليج العربي خلال هذه الحقبة. لكن معظم المراجع تؤكد أن عمليات رحمة التي تعد عمليات القواسم امتدادا لها، لا تخرج عن سياق المقاومة التي تناهض النفوذ الغربي. وقد وصفه الرحالة والمؤلف الإنجليزي جيمس سلك بكنغهام بأنه: «أنجح قرصان متسامح عموما وربما في أي وقت مضى».

وفي كتابه "علم العرب الدموي الأحمر"، ادعى تشارلز ديفيس أن قضية القرصنة في الخليج العربي يبدو أنها تصاعدت في 1797.[68]

ورصدت المراجع التاريخية ظهور القرصنة في قرون سابقة، إذ تؤكد تلك المراجع أن القرصنة الأوروبية ظهرت في الخليج العربي متكررة في القرن

[66] بورغيس ، دوغلاس ر. (2009). ميثاق القراصنة: التحالفات السرية بين القراصنة الأكثر شهرة في التاريخ وأمريكا الاستعمارية (ويكبيديا)

[67] القرصنة في الخليج العربي - ويكيبيديا(wikipedia.org)

[68] The Blood-Red Arab Flag – University of Exeter Press

16 و17 التي كانت تستهدف أساسا السفن الهندية في طريقها إلى مكة المكرمة.

وفي هذا السياق، يؤكد "إدوارد بلفور" أن عرب مسقط كانوا مفترسين للغاية من 1694 إلى 1736 حتى عام 1787. حيث أشارت سجلات بومباي إلى وجود قرصنة نظامية في الخليج العربي.[69]

وفي نهاية هذا الرصد، يمكن ملاحظة كيفية تنوع واختلاف الدوافع التي كانت تقف خلف أعمال القرصنة أو الهجمات البحرية طيلة القرون الماضية (دوافع معيشية وغذائية أو مالية ودوافع نفوذ وسيطرة استعمارية ودوافع دينية وسياسية ووطنية). تختلف هذه الدوافع بفعل اختلاف الجهات وهويتها وجغرافيتها وأيدولوجياتها الدينية أو العرقية أو الوطنية أو الاستعمارية.

[69] القرصنة في الخليج العربي - ويكيبيديا(wikipedia.org)

نتائج وتوصيات

حاولت هذه الورقة رصد أبرز عمليات القرصنة والهجمات العسكرية للدول أو للجماعات من غير الدول في البحر الأحمر وخليج عدن خلال القرون الثلاثة الماضية، وتحليلها، ومعرفة الفوارق بينها من حيث الدوافع والأساليب والتداعيات. وخلصت إلى الآتي:

- شهدت القرصنة تحولاً ملحوظًا من حيث الدوافع والأهداف والطرق المستخدمة. ففي الماضي، كانت القرصنة مدفوعة بشكل أساسي بالبحث عن الغنائم، وأعمال السلب والنهب، بينما أصبحت اليوم أكثر ارتباطًا بالجماعات المسلحة المتطرفة والجريمة المنظمة. كما أنها باتت مرتبطة بشكل أكبر بصراع النفوذ العالمي.
- تختلف عمليات جماعة الحوثي الأخيرة في البحرين الأحمر والعربي عن كل العمليات التي سبقتها خلال القرون الماضية، على أكثر من مستوى. برزت معها مخاطر جادة تهدد مستقبل استقرار المنطقة البحري والأمن المائي ومعه المشاريع الاستراتيجية الوطنية والدولية طويلة الأمد. كما برزت تحديات واضحة في القدرة على مواجهة هذه الاعتداءات والسبل الكفيلة بردعها، مقارنة بالإجراءات المتخذة ضد عمليات القرصنة في السابق.
- تطورت استراتيجيات مكافحة القرصنة بشكل كبير على مدار القرون الثلاثة الماضية. ففي الماضي، كانت تعتمد بشكل أساسي على القوة العسكرية، بينما تشمل اليوم نهجًا أكثر شمولاً يجمع

بين الجهود الدولية والتعاون الإقليمي والعقوبات الاقتصادية والسياسية.

- أظهرت عمليات جماعة الحوثي في البحر الأحمر وخليج عدن حاجة العالم لاستراتيجية جديدة وفاعلة في مكافحة الاعتداءات البحرية، وربما صياغة رؤية أكثر شمولا في التعاطي مع هذه الهجمات من منظور لا يأخذ بطبيعة الحال، النتائج فقط، بل معالجة جذور المشكلات والأسباب والظروف التي خلقت أو سهلت لمثل هذه التهديدات بالبروز، أو تلك التي مكّنت مثل هذه الجماعات الوكيلة على أن تصبح ما أصبحت عليه اليوم.

- على المستوى المجتمعي، تكمن خطورة هذه العمليات في ابتكار أصحابها لأساليب جديدة لتبرير دوافعهم. مثل استغلال القضايا الإنسانية التي تتفاعل معها عاطفة ووعي المجتمعات المحلية، وكذلك بالمقابل انحياز أو فشل أو تواطئ الهيئات الدولية والعالمية تجاه هذه القضايا.

- لا تزال القرصنة تشكل تهديدًا خطيرًا على الأمن البحري والتجارة الدولية، خاصة في ظل ازدياد خطورة وعتاد القراصنة وتنوع وتطور هجماتهم والأسلحة المستخدمة من أجل ذلك.

- تواجه مكافحة القرصنة العديد من التحديات، مثل ضعف الدول الساحلية، وازدياد الفقر بين السكان فيها، وتغيّر المناخ، إضافة إلى تحول القرصنة مؤخرا إلى جزء من أجندات الصراع القائم في المنطقة، كما هو الحال مع جماعة الحوثيين اليمنية.

- في ضوء تطوّر وتنوع الهجمات التي شهدتها منطقة البحر الأحمر وخليج عدن خلال السنوات الماضية، يمكن الاستشفاف أنّ إيران

هيأت المنطقة لمرحلة تصعيد بحري عالمي، بات فيه انخراط الحوثيين أحد النتائج وليس أحد الأسباب.

التوصيات

من خلال تحليل الهجمات على السفن في البحر الأحمر قديما وحديثا، يمكن تقديم التوصيات التالية:

- ضرورة تعزيز التعاون الدولي لمكافحة القرصنة، من خلال تبادل المعلومات الاستخبارية وتنسيق الجهود العسكرية. بما في ذلك انخراط فاعل وأوسع للدول العربية المؤثرة في عملية تأمين طريق الملاحة في البحرين الأحمر والعربي.
- تقديم الدعم للدول الساحلية في بناء قدراتها البحرية وتعزيز سيادة القانون على أراضيها. مع الإشارة إلى أن الحكومة اليمنية المعترف بها دوليا والقوات المسلّحة في جنوب اليمن أو الساحل الغربي، لم تتلق أي دعم حتى الآن في هذا الجانب، ولم تسند إليها أية مهمة، على الرغم من الدعوات التي وجهها أعضاء مجلس القيادة الرئاسي.
- معالجة الأسباب الجذرية للقرصنة، مثل الفقر والبطالة، من خلال برامج التنمية الاقتصادية والاجتماعية وتعزيز وجود استقرار وتنمية مستدامة. إضافة إلى العمل الجدي والعاجل على إنهاء الصراعات الداخلية بصورة جذرية وعادلة.
- في الحالة اليمنية يتطلب الأمر دعما لوجوستيا واستخباريا وتدريبيا للحكومة اليمنية لاستكمال فرض سيطرتها على المناطق التي

تخضع لجماعة الحوثيين في الشمال. وتجنّب السياسات الفاشلة التي انتهجتها واشنطن والدول الغربية في الأزمة اليمنية، والتي ضاعفت من تهديد الجماعة على الملاحة البحرية عقب سيطرتها على ميناء الحديدة على البحر الأحمر، من خلال اتفاق استوكهولم لعام 2018.

- لضمان وجود آلية عاجلة وحلول طويلة الأمد، يوصى بتزويد القوات الأمنية والعسكرية المحلية في جنوب وغرب اليمن بمنظومات دفاع متطورة، للحد من عبور الصواريخ البالستية وطائرات الدرون على أجواء جنوب اليمن إلى خليج عدن وباب المندب.
- لا يوجد حل واحد سحري للحد من هجمات الحوثيين في البحر الأحمر، بل يجب استخدام مزيج من الحلول العسكرية والسياسية والاقتصادية، من قبيل:
  - دعم القوات اليمنية: تقديم الدعم اللوجستي والعسكري والتدريب اللازم للقوات المحلية في اليمن لمواجهة تهديد جماعة الحوثيين.
  - الضغط على إيران: من خلال فرض عقوبات مؤثرة ، تدفعها لوقف دعم جماعة الحوثيين وتزويدهم بالأسلحة وقطع غيار الصواريخ والطائرات المسيرة وغيرها من أوجه الدعم الأخرى.
  - الضغط على جماعة الحوثي: من خلال تزامن الإجراءات العقابية العسكرية بإجراء سياسية وقانونية.

- معالجة الأزمة اليمنية: إيجاد حل شامل للأزمة اليمنية يُنهي الحرب ويحّل القضايا الأساسية بصورة عادلة ويعزز مفهوم الدولة والمؤسسات.
- لا يمكن حل مشكلة هجمات الحوثيين في البحر الأحمر بمعزل عن حل الأزمة اليمنية بشكل عام.
- يجب أن تكون الحلول لأزمة البحر الأحمر وخليج عدن شاملة ومستدامة لضمان استقرار هذه الممرات المائية على المدى الطويل.

بواسطة فريق متخصص بشؤون الأمن والجماعات المسلحة بمركز سوث24 للأخبار والدراسات

09 مارس 2024

SOUTH24. NET